كُناشة: (٤)

الشيخ الدمستانيّ بوصفه مُتكلِّمًا

إبراهيم عليّ السفسيف

يقرن المُوالون لأهل بيت العصمة (صلوات الله عليهم أجمعين) في البحرين والدول المحيطة بها -بصورة عفويّة- بين الشيخ حسن بن محمّد الدمستانيّ(١١٨١هـ) وقصيدته "أحرم الحجّاج"، فمتى ما ذُكر على الألسن حضرت في الذهن، ومتى ما ذُكرت على الألسن حضر.

وليس هذا مستغربًا؛ فما تمرّ ذكرى عاشوراء إلّا ويأتي الخطباء على ذكره وإنشاد أبيات من قصيدته على منابرهم.

فلقد ساعد ذكره الدائم على المنابر في مقابل غياب الحديث عن شخصيّته ودراسة آثاره العلميّة، في تكوين صورة ذهنيّة عامّة عنه كشاعر خلّد اسمه بقصيدته التي لم يسبق إلى نمطها [المسمّط المثمّن التركيبيّ] أحد، وفق ما خلص إليه الدكتور حسين مرعشيّ(الشعر العربيّ الدينيّ في إيران، ص: ١٩٠) ،

والواقع أنّ الشيخ الدمستانيّ أكثر من كونه شاعرًا بكثير، فهو فقيه كتب في الرجال والمنطق والهيئة والكلام وغيرها من العلوم الرائجة في زمانه.

ومن أبرز أبعاد شخصيّة الشيخ الدمستانيّ، إلى جانب بعده الفقهيّ والشعريّ، هو كونه متكلّمًا. وهذا ما تشهد به آثاره العلميّة التي أحصاها الباحث والمختصّ في شأن التراث البحرانيّ الشيخ الدكتور حسن بن عليّ آل سعيد في تحقيقه لقصيدة "أحرم الحجّاج"(ص: ٣٧-٤)، حيث عدّدها على النحو الآتي:

١. أرجوزة في إثبات الإمامة والوصيّة.
٢. أرجوزة في علم الكلام.
٣. أرجوزة في المعارف الخمس(تحفة الباحثين).
٤. رسالة في أصول الدين.
٥. الرسالة الصحاريّة في علم الكلام.
٦. رسالة في الكلام(يُحتمل اتّحادها مع السابقة).
٧. منظومة في التوحيد.
٨. منظومة في نفي الجبر والتفويض.
٩. كتاب الهداية(ويحتمل ألّا يكون في علم الكلام).

هذا الآثار العلميّة التي خلّفها الشيخ الدمستانيّ في علم الكلام، والتي تُقارب آثاره الفقهيّة عددًا، تستدعي أنْ يقوم المختصّون من أهل العلم بإجراء دراسة علميّة حول نتاجه الكلاميّ، يُسعى من خلالها إلى:

رصد دواعي التأليف في هذا العلم بربطه بمجريات المشهد العقديّ في زمانه، وتستقصّي آراءه الكلاميّة، وبيان منهجه في الاستدلال ودفع مقولات المخالفين، مع ربط ذلك كلّه باتّجاهه العلميّ، ونتاجات المدرسة العلميّة البحرانيّة في علم الكلام والمدراس العلميّة الشيعيّة الأخرى المركزيّة منها والفرعيّة[١].

الثلاثاء: ١ صفر ١٤٤٦هـ/ ٦ أغسطس ٢٠٢٤م.

[١] غنيّ عن البيان أنّ غرض هذه الكنّاشة إنّما يتمثّل في الإلفات إلى فكرة أو تسجيل معلومة أو إبداء رأي أو اقتراح بحث. وهي وإنْ كانت لا تحتمل مزيد الاستقصاء والتطويل، فإنّها تُحاول ترسّم شروط العلميّة ومقتضيات الأدب. فما أصابته من حقّ فهو من فضله سبحانه، وما تنكّبت الطريق فيه فهو من القصور والتقصير. والعصمة لأهلها.